الصفاتُ الثبوتيَّةُ والسلبيَّةُ في تفسيرِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام

م.م: سندس معين حسن علي
ماجستير فكر وعقيدة إسلامية
مدرس في المديرية العامة لتربية النجف الاشرف

الملخّص:

تنصب مشكلة البحث الحالي في القصور الواضح بعدم إلمام الكتب والمؤلَّفات التفسيريَّة بمدوَّنات الإمام علي عليه السلام أو أقواله، ولا سيَّما الندرة الحاصلة في موضوع الصفات الإلهية.

ويعد موضوع الصفات الإلهية من أهم مواضيع توحيد الذات الإلهية وما تشعَّب منه من اختلافات في الآراء، فالصفات الإلهية عبارة عن سبل للتعبير عن الله تعالى وبيان ذاته المقدسة.

وللمدارس الإسلاميّة آراء في الصفات الإلهيّة، وقد ارتكزت أسباب الاختلاف بين الأماميَّة والأشاعرة والمعتزلة في هل أن الصفات هي عين الذات أم زائدة عن الذات؛ فالأشاعرة يأخذون بظاهر الآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات، ورفضوا التأويل مطلقًا وكانت نتيجة هذا المنهج في معرفة صفاته تعالى مقولة التشبيه والتجسيم، ويدَّعون أن صفاته قديمة وزائدة عن ذاته، أمَّا الأمامية والمعتزلة فيذهبون إلى معنًى آخر مستوحًى من الآيات والروايات؛ فهم يجمعون في تفسير المتشابهات من آيات الأسماء والصفات بين الإثبات والنفي، فينزِّهونه عن لوازم

الحاجة والإمكان بتأويلها، فهم يقولون بعينيَّة الذات.

وقد اتَّجهت آراء المذهب الإماميِّ إلى تبنِّي أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام وأقواله في هذه المسألة المهمَّة، وقد عمد أئمَّة أهل البيت عليهم السلام إلى تأكيد معرفة هذه الصفات، وحصروا الموضوع في يد (الراسخون في العلم) ومن بعدهم العلماء...

الكلمات المفتاحية:

الصفاتُ الثبوتيَّةُ، الصفاتُ السلبيَّةُ، الإمامُ عليٌّ عليه السلام

Affirmative and Negative Attributes in the Exegesis of Imam Ali (peace be upon him)

Asst. Lecturer Sundus Mu'een Hassan Ali

Master's in Islamic Thought and Doctrine

Instructor at the General Directorate of Education, Najaf Al-Ashraf

Abstract:

The central issue addressed in this study is the evident lack of comprehensive attention in exegetical works to the recorded statements and interpretations of Imam Ali (peace be upon him), particularly concerning the divine attributes.

The topic of divine attributes is among the most significant subjects in the doctrine of divine unity (Tawhid), and it has led to various theological debates. These attributes serve as means of expressing and understanding the essence of Allah, the Almighty.

Islamic theological schools have differing views on divine attributes. The core dispute between Imamiyyah, Ash'arites, and Mu'tazilites revolves around whether divine attributes are identical to or separate from the Divine Essence.

• The Ash'arites interpret Quranic verses and hadiths related to divine attributes literally and reject any form of interpretation (ta'wil). Their approach has led to the doctrines of anthropomorphism and corporealism, asserting that Allah's attributes

are eternal and distinct from His essence.

• The Imamiyyah and Mu‘tazilites, however, take a different approach based on Quranic verses and narrations. They seek a balanced interpretation of ambiguous verses concerning divine names and attributes, combining affirmation and negation. They emphasize divine transcendence (tanzih), ensuring that Allah is free from any contingent or dependent qualities, asserting that His attributes are identical to His essence.

The Imamiyyah school has adopted and preserved the sayings of Imam Ali (peace be upon him) on this crucial issue. The Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them) placed great emphasis on understanding divine attributes, restricting their interpretation to "those firmly rooted in knowledge" (Al-Rasikhun fi al-‘Ilm) and, subsequently, to qualified scholars.

Keywords:

Affirmative Attributes, Negative Attributes, Imam Ali (peace be upon him).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين، وبعد..

فإنَّ من الطبيعيِّ أنَّ فهم القرآن الكريم وتفسيره ليس من قابلية كلِّ أحد، مثلما أنَّ فهم الموضوعات العلمية الدقيقة في كلِّ فرع وحقل ليس من قابليَّة كلِّ أحد أيضًا، وفيما يخصُّ فهم القرآن الكريم وتفسيره أيضًا فإنَّ الإدلاء بالرأي من الذين لا معرفة لهم بعلوم الدِّين ومعارفه يفتقد لأيِّ قيمة وشأن، فعلى الرغم من أنَّ القرآن الكريم نزل بلسان بليغ ومبين؛ ليفهمه الناس ويعملوا به لكن ليس الأمر بأنَّ عمق معارفه ممَّا يتسنَّى للجميع فهمه على مستوى واحد؛ فالمتاح فهمه من القرآن الكريم لعامَّة الناس هو الظاهر من المعنى، لكنَّ الغور في عمق معاني القرآن الكريم ومعارفه يحتاج إلى مقدمات وتفكّر وتدبّر[1]، فيقول القرآن الكريم بهذا الصدد ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

ويعدُّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منظومة فكريّة حياتيّة متكاملة، لا يُختزل أثره في جانب معيّن، فنجده أفقه الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله في الجانب الديني، حتَّى صرَّح بذلك الخليفة الثاني عبر مقولته المشهورة (لولا عليّ لهلك عمر)، وكذلك على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومن الصعب جدًّا الإلمام بكلِّ هذه الجوانب في بحث مختصر، فارتأيت أن أغترف غرفة من هذا البحر المتلاطم، فكان الموضوع (الصفات الثبوتيَّة والسلبيَّة في تفسير الإمام علي عليه السلام).

ولمَّا كانت معرفة الله سبحانه وتعالى أوَّلَ ما يجب على الإنسان معرفته، وهذه المعرفة في الدِّين لا تتم على الوجه الأكمل إلَّا بعد معرفة صفاته تعالى وأسمائه،

---

(١) ينظر: تجلي القرآن من نهج البلاغة: ٧٠.

(٢) سورة يوسف: ٢.

والإيمان بتلك الأسماء والصفات والأفعال، وقد تعرّضتْ هذه المسألة ومنذ حقبة زمنية طويلة إلى العديد من النقاشات بين الفِرَق الإسلامية التي تستند إلى سُور وأحاديث تؤيِّد صدق دعواها؛ فلذا حاولتُ في بحثي المتواضع هذا تسليط الضوء على أبرز الرؤى والأفكار التي تناولت هذه المسألة التي تعد من أمَّهات المسائل الكلامية التي وقع الخلاف فيها، فقد تناولت في المبحث الأول جهود أهل البيت عليهم السلام التفسيريَّة، ثمَّ قمت في المبحث الثاني باستعراض الصفات الإلهيَّة في تفسير الأمام علي عليه السلام، واختلافات الفِرق الإسلامية في مسألة الصفات، وأخيرًا قمت بعرض نماذج من تفسير أمير المؤمنين عليه السلام في أبرز السور القرآنية التي جاء بها ذكر للصفات الإلهيَّة، ثمَّ أتبعت ذلك بأهمِّ ما توصَّلت إليه من نتائج؛ متمنِّية أن أكون قد أضفت شيئًا يرفد المكتبة الإسلامية بعلوم آل البيت عليهم السلام والتي كانت ومازالت بحر ينهل منه كل طالب علم.

المبحث الأول / نتاج أهل البيت عليهم السلام التفسيريَّة

المطلب الأول / أثر أهل البيت عليهم السلام

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (١).

بهذا النصِّ القرآني المبارك، وبتتبِّع ما جاء فيه نجد أنَّ هناك حقيقة تتلخَّص بأنَّ التبحُّر بالقرآن الكريم وتفهُّمَ معانيه يقع في الباب الأوَّل على عاتق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله والأئمَّة المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، إذ كانت وظيفتهم عليهم السلام وظيفة تربية وتعليم وإرشاد في ضوء آيات القرآن الكريم، بتفسير آياته، وكيفيَّة فهم معاني

(١) سورة آل عمران: ٧.

كلامه تعالى، وكيفية الوقوف على دقائق هذا الوحي الإلهي الخالد، فقد كانت تفسيراتهم للقرآن الكريم المأثورة عنهم غاية في الدقة والفائدة [١].

والرجوع لأهل البيت عليهم السلام في التعامل مع القرآن الكريم وآياته رجوع قد أقرَّه القرآن الكريم نفسه، وأكَّدته الأحاديث الصحيحة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى طهَّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحجَّته في أرضهِ، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا» [٢]، كما تضافرت الأدلَّة من الآياتِ والرواياتِ على أنَّ أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن الكريم، وهما طريقان في هدف واحد ويشتركان معًا في إضاءة عقل الإنسان وروحه وقلبه، فعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، قال عليه السلام: «الذكر القرآن ونحن أهله»[٤].

وكما كان هذا النهج عند أمير المؤمنين عليه السلام سار الأئمَّة عليهم السلام على هذا المسار في التبحُّر بعلوم القرآن وفهم معانيه، فهذا الإمام الباقر عليه السلام يُحدِّث جابرًا: «بأنَّ للقرآن باطنًا، وللباطن باطن، والقرآن ذو ظاهر، وللظاهر ظاهر أيضًا، وعليك يا جابر أن تعرف أنَّ عقول الرجال أعجز من أن تتَصدَّى لتفسير حقيقة القرآن وباطنه؛ لأنَّه ربما يدور أوَّلُ الآية حول شيء ما، فيما يتحدَّث آخرها عن شيء آخر، فالقرآن كلام مترابط ذو قابلية على أن يتضمن معاني عدة دون أن يكون هنالك أدنى تناقض أو منافاة بين المعاني والمعارف» [٥].

---

(١) ينظر: دور أهل البيت في التفسير، شبكة المعارف الإسلامية الثقافية، almaaref.org.
(٢) ينظر: أصول الكافي: ١/ ٩٧-٩٨.
(٣) سورة النحل: ٤٣.
(٤) بحار الأنوار: ٢٣: ١٨١.
(٥) تجلي القرآن: ٧٤.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(١)، قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية: هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان، وفي قوله تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾(٢)، قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إلى علمه الذي يأخذه عمَّن يأخذه» (٣).

و«قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(٤): نزلت في أمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله خاصَّة، في كلِّ قرنٍ منهم إمام منَّا شاهد عليهم، ومحمَّد شاهدٌ علينا، وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٥): كتاب الله الذكر وأهله آل محمَّد الذين أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال، وسمَّى اللهُ القرآنَ الذكرَ» (٦).

ولمَّا كانت هذه الجهود في التفسير من آل البيت عليهم السلام، كانت المهمَّة التي تقع على العلماء فيما بعدُ الكشف عن هذه التفاسير الواردة عنهم، وإماطة اللِّثام عنها، فكلُّ تفسير لا يرجع إليهم فهو من التفسير بالرأي، وهو منهيٌّ عنه(٧).

وبناءً على ما تقدَّم فإنَّ أوَّل ملاك في الفهم الصحيح للقرآن الكريم وعلوم الدين؛ هو البيان والإيضاح الوارد عن النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله، والأئمَّة المعصومين عليهم السلام،

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٢) سورة عبس: ٢٤- ٢٧.

(٣) تفسير الصافي: ٢/ ٧٨٩.

(٤) النساء: ٤١.

(٥) سورة الأنبياء: ٧.

(٦) منتدى الكفيل، دور أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، عمار الطائي، forums.alkafeel.net.

(٧) ينظر: تجلي القرآن: ٧٤.

وبالنتيجة: فإنَّ أوَّلَ واجب على المفسِّر هو فهم البيان والتفسير الوارد عن النبيِّ صلى الله عليه وآله، والأئمَّة عليهم السلام؛ ففي ظلال علوم أهل البيت عليهم السلام فقط يمكن الوصول إلى فهم معاني القرآن الكريم [١].

المطلب الثاني: أثر الإمام عليٍّ عليه السلام في تفسير القرآن الكريم

دأب الإمام عليٌّ عليه السلام على أن يربِّي الأمَّة على التوجُّه إلى القرآن الكريم واتِّخاذه مرجعًا للهداية؛ ليتعرفوا الرشد والمعرفة وإطاعة أوامر الله تعالى، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ كثيرًا من الناس لا يستوعبون معاني كثير من الآيات، ولعلَّ هذا كان فيمن كانوا معاصرين لنزول الوحي، فكيف بمن جاء بعدهم مع تعدُّد دلالات النصِّ القرآنيِّ، وما حفل به من المتشابه والمحكم، والمطلق والمقيّد، والمجمل والمبيّن، والعام والخاص [٢].

لقد ذكرت روايات كثيرة لأمير المؤمنين عليه السلام وصف بها القرآن الكريم؛ منها قوله عليه السلام: «جعله الله ريًّا لعطش العلماء، وربيعًا بقلوب الفقهاء، ومحاجَّ لطُرُق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونورًا ليس معه ظلمة» [٣].

وقال عليه السلام: «اعلموا أنَّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يُضلُّ، والمحدِّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلَّا قام عنه بزيادة أو نقصان؛ زيادة في هدى أو نقصان من عمى» [٤].

ومن نتاجات أمير المؤمنين عليه السلام التفسيريَّة نجده في باب العقائد قد تصدَّى في

(١) ينظر: إطلالة على أهم الكتب في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، حسن بدران، baqiatollah.netK، السنة الثانية عشر، العدد ١٣٤، ٢٠٢٣م.
(٢) ينظر: الإمام علي عليه السلام وتفسير القرآن: ١٥.
(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٠/ ١٩٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٠/ ١٨.

تفسيره إلى توضيح العقائد السليمة ومنها صفات الله عزَّ وجلَّ الثبوتيَّة والسلبيَّة[١]، ففي تفسير قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[٢]، قال الإمام علي عليه السلام: «كلَّم الله موسى تكليمًا بلا جوارح وأدوات وشفة ولا لهوات سبحانه عن الصفات»[٣].

وكما كانت هناك مقولات عقديَّة تكشفها نصوص الإمام علي عليه السلام نجده أيضًا يكشف عن أحكام الله تعالى بآيات قرآنيَّة، ويُظهر للناس أحكامًا فقهيَّة، ومن ذلك ما روي أنَّ عمر أُوتي بامرأة ولدت لستَّة أشهر، فهل يرجمها؟، «فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنْ خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٤]، ويقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[٥]، فإذا تمَّمت المرأة الرضاعة سنتين، وكان حمله وفصاله ثلاثون شهرًا، كان الحمل منهما ستة أشهر، فخلَّى عمر سبيل المرأة»[٦].

ولم تخلُ مقولات أمير المؤمنين عليه السلام من المعارف العامَّة التي تثري من يطلع عليها كما تضمَّن تفسيره عليه السلام كثيرًا من القصص القرآنيَّة، وباب ردِّ شبهات بعض الزنادقة الذين جاؤوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالوا له: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم [٧]، فقال عليه السلام وما هو؟، قالوا: إحداها: ﴿مَنْ يُطِعِ

(١) ينظر: التوحيد: ٧٩.
(٢) سورة النساء: ١٦٤.
(٣) التوحيد:٧٩.
(٤) سورة الاحقاف: ١٥.
(٥) سورة البقرة: ٢٣٣.
(٦) الإرشاد: / ٢٠٦.
(٧) ينظر، مقالة شبكة النبأ للمعلوماتية، <https: //annabaa.org.

الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[١]، كيف تكون طاعة المخلوق كطاعة الخالق؟ فقال عليه السلام: أمَّا قوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ فكأنَّه يقول: إن لم تبلغ تمامًا إلى طاعتي فلا تقصِّر في طاعة الرسول؛ لكي أهب تقصيرك في طاعتي بحرمة طاعة الرسول[٢]، وغيرها من الشبهات التي كان يرد بها أمير المؤمنين على المشكِّكين في ما جاء به الله تعالى في كتابه المجيد.

فقد دعا أهل البيت عليهم السلام إلى نفي التشبيه والتجسيم والتعطيل جميعًا وتفسير آيات القرآن المباركة المتعلِّقة بهذا الموضوع على هذا المنهج؛ قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزَّ وجلَّ فانفِ عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه؛ هو الله الثابت الموجود»[٣].

المطلب الثالث: الصور الكلاميَّة في تفسير الإمام علي عليه السلام للصفات الإلهيَّة

يعدّ الإمام عليّ عليه السلام أول من خاض في المعارف الإلهيَّة من أمَّة محمد صلى الله عليه وآله، وأول من أوضح معالمها، والمتأمِّل في نهج البلاغة يجدُ أنَّ هذا الكتاب يحوي طرحًا فلسفيًّا بالنسبة للإلهيَّات لا يفوقه أيَّ طرح آخر[٤].

فهو دقيق في مدلولاته مطابق في كلِّ جوانبه للقرآن الكريم، ولم يخرج أمير المؤمنين عليه السلام في أحاديثه واستدلالاته في علم العقائد عن الأُطُر والاستدلالات الشرعيَّة، بل نهَجَ منهْجَ القرآن الكريم في الاستدلال على المعارف الإلهيَّة سواء كان في

(١) سورة النساء: ٨٠.
(٢) ينظر: شبكة النبأ، المصدر السابق.
(٣) بحار الأنوار: ٣/ ٣٢٧.
(٤) الروضة في المعجزات والفضائل: ١٠٣.

أدلَّة النفس، أو الآفاق، أو العقل، في المجالات العقديَّة التي تعدَّدت الأسئلةُ عنها[١].

وقد أخذت منه المدارس الفلسفيَّة الإسلاميَّة وارتوت من معينه، وأسَّست عليه تصوُّراتها وأطروحاتها، ولا يزال أصحاب العقول يقفون في انبهار أمام هذا الكتاب، ولسان حالهم يقول: إنَّ مثل هذا الكتاب لا يمكن أن يكون منسوبًا إلَّا للإمام عليٍّ عليه السلام[٢].

وكان للصور الكلاميَّة في القرآن الكريم على وفق منظور أمير المؤمنين عليه السلام كما ذُكر في نهج البلاغة الأثر الكبير[٣]، فلقد عُرف عن عصر الإمام عليه السلام هو عصر بداية الدعوة الإسلامية، ذلك العصر الذي كان يغصُّ بالشبهات؛ الأمر الذي تطلَّب من الإمام عليٍّ عليه السلام أن يجعلَ خطبه مليئة بأهمِّ الموضوعات العقديَّة[٤]، فقد ورد عنه أنَّ القرآن الكريم قد نزل بلغة بيِّنة وبليغة كما صرَّح القرآن الكريم بذلك، لكن قد يأتي بآية تبيِّن الحكم بشكل إجماليٍّ وعامٍّ، وفي آية أخرى يجري توضيحُ ذلك الحكم، أو أن يتمَّ بيان حكم في آية بصورة مطلقة، ويفاد قيده وشرطه من آية أخرى، كما أنَّ بيان الموضوع عن طريق المثال واستخدام الكتابة والاستعارة والمجاز وما شابه ذلك من الطرق المستخدمة في القرآن الكريم، ونظرًا إلى أنَّ المخاطبين في القرآن الكريم هم عامَّة الناس، وأنَّ الطُّرُق المذكورة تعدُّ من محاسن الكلام الإنسانيِّ والعقلائيِّ في بيان الغاية، وبذلك فإنَّ القرآن الكريم يُعضَّد بهذه الطُّرُق بأروع شكل ممكن في بيان أحكامه ومعارفه، وهذه الطرق هي ذاتها المستخدمة من العقلاء، مع فارق أنَّ الطرق المستخدمة في القرآن الكريم لا يمكن مقارنتها من جهة الروعة

(١) ينظر: العقائد من نهج البلاغة: ٧٤.
(٢) الإمام علي عليه السلام في آراء الخلفاء: ١٦٠.
(٣) تجلي القرآن: ٨٠.
(٤) المصدر نفسه: ٨١.

والسلامة، مع استخدام المحاسن من الإنسان، وهذا الشيء منطقيٌّ؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا تتخلَّله أيُّ شائبة أو قصور في المعاني والمفردات [١].

آمنَ الإمام عليٌّ عليه السلام بإلهٍ واحد لا شريك له، وعبَّر عن ذلك باعتبارات من الصفات الثبوتيَّة والسلبيَّة، فنفى عنه سائر الكيفيَّات بمعانيها الجسميَّة، وأثبت له كلَّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى التوحيد المطلق، كما نزَّهه عن الكيفيَّة كونها تتعارض مع توحيده تعالى، ومع كونه واجب الوجوب بذاته[٢].

كذلك نزَّه الإمام الباري عن المِثْل والشبيه؛ لأنَّ مَنْ جعل له مثلًا وشبيها لم يصب حقيقته؛ إذ إنّ كل ماله مثل وشبيه فليس بواحد، وليس بواجب الوجود، وكلُّ صورة تُرسم في الخيال عن الله تعالى إنَّما هي ظلٌّ وشبح للجسم المحدود، ونزَّهه عن الجهة؛ لأنَّ من ثَبَّت له جهة معيَّنة فأمَّا أن يكون لابثًا فيها، أو متحركًا عنها، فهو بذلك لا يُفكُّ عن الحوادث، وكل ما لا ينفكُّ عن الحوادث فهو حادث، ولا يكون واجبًا وهذا خلف[٣].

وبذلك عرفنا من خلال كلام أمير المؤمنين عليه السلام بأنَّه تعالى ليس بجسم ولا عرض، ولا يجوز عليه العدم، وقد جسَّد الإمام عليه السلام هذا المعنى عندما تحدَّث في إحدى خطبه عمَّا أسماه (تجريد التوحيد)، ويقصد به المعنى الخالص للتوحيد الذي ينتفي أمامه أيُّ شك[٤]، يقول عليه السلام: «لا دين إلاَّ بمعرفة، ولا معرفة إلاَّ بتصديق، ولا تصديق إلَّا بتجريد التوحيد، ولا توحيد إلَّا بالإخلاص، ولا إخلاص مع

(١) بحار الأنوار: ٣/ ٣٢٧.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٤/ ١٥١.
(٣) في ضلال نهج البلاغة: ٣/ ٦٧.
(٤) ينظر: علم الكلام الإسلامي عند أمير المؤمنين ع (بحث): ١٨.

التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفات، ولا تجريد إلَّا باستقصاء النفي كلِّه، إثبات بعض التشبيه يوجب الكلَّ، ولا يستوجب كلَّ التوحيد ببعض النفي دون الكلّ»[١].

وبذلك فقد سلب الإمام عليّ عليه السلام عن الله كلَّ معنًى دال على التجسيم إلَّا أنَّ نفي الصفات السلبية هذه لا يعني عدم تحقّقها فيه تعالى وإلَّا لزمَ التعطيل؛ إنَّ وجودها فيه لا يكون بدلالة المفهوم المتكثِّر بل باعتبارها متحقِّقة تُحقِّق الذات الواجبة، فالكبر والعظمة مثلًا هما بالنسبة إلينا مقدار وكم ممتد في الجهات طولًا وعرضًا وعمقًا، فيحصل كبير الجسم وعظيمه، أمَّا الله جلَّ شأنه؛ فهو منزَّه عن هذه الأبعاد؛ هو كبير شأنًا وعظيم قدرًا[٢].

المبحث الثاني: الصفات الإلهيَّة في تفسير الإمام عليٍّ عليه السلام

المطلب الأول: صفات الله عزَّ وجلَّ

الغاية من معرفة صفات الله تبارك وتعالى هي معرفته عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الصفات عبارة عن سُبُل للتعبير عن الله تعالى وبيان ذاته المقدَّسة، والقول بأنَّ صفات الله تعالى هي السبيل لمعرفة الله عزَّ وجلَّ لا يعني أنَّ هذه الصفات قادرة على بيان كنهه وحقيقة الذات الإلهيَّة، بل هذه الصفات مفاهيم وُضِعت لترشد العباد بمقدار وسعها المحدود إلى معرفة الله الإجماليَّة، وما هو محدود لا يمكنه الكشف الكامل عمَّا هو غير محدود[٣].

ومن المعلوم أنَّ التوحيد الذي بُنيَ عليه الإسلام المراد منه هو الاعتقاد بوجود الواجب الجامع لجميع صفات الكمال؛ المنزَّه عن جميع صفات النقص؛

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ٧٨.

(٢) علم الكلام الإسلامي عند أمير المؤمنين: ١٨.

(٣) مفاهيم القران: ٩.

الموجود بنفسه، وليس لوجوده سبب غير ذاته؛ لأن الموجود إمَّا أن يكون واجبًا أو ممكنًا؛ بمعنى أنه ليس في ذاته رجحان لوجوده ولا لعدمه، بل يحتاج في وجوده إلى موجد(١).

قال الشيخ المفيد: «صفات الله على ضربين؛ أحداهما منسوب إلى الذات، فيقال عنها أنَّها صفات ذات، وثانيهما منسوب إلى الأفعال فتكون صفة لها، والمراد من صفات الذات هو كونها مستحقَّة لها استحقاقًا لازمًا لا لشيء سواها، ومعنى صفات الأفعال هو أنه تجب بوجود الفعل، ولا تجب قبل وجوده»(٢).

والمتحصَّل من ذلك أنَّ نسبة الصفات إليه تعالى ليست على نهج واحد؛ لأنَّ منها ما يُنسب إلى ذاته ابتداء وبلا توسُّط لشيء ومنها ما ينسب لذاته بلحاظ ما يصدر عنه من الأفعال(٣).

ومن أحاديث أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار

قولُ الإمام علي عليه السلام: «لا وصف يحيط به»، وقوله عليه السلام: «الله أجلُّ من أن يدرك الواصفون قدر صفته التي هو موصوف بها، وإنَّما يصفه الواصفون على قدرهم لا على قدر عظمته وجلاله، تعالى الله عن أن يدرك الواصفون صفته علوًّا كبيرًا»، وأيضًا قولُ الإمام الجواد عليه السلام: «الأسماء والصفات مخلوقات»(٤).

وغيرها من أحاديث أهل البيت التي ذكرت في هذا المضمار التي تؤكِّد بأنه ليس المقصود من نسبة الصفات إلى الله فهم كنه الذات الإلهيَّة وحقيقتها؛ لهذا

---

(١) عقيدة الشيعة الإمامية عرض ودراسة: ٤٣.
(٢) تصحيح الاعتقادات بصواب الانتقاد أو شرح عقائد الصدوق: ١١.
(٣) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: ١٥٤.
(٤) ينظر: التوحيد: ٣٨١.

الفهم غير ممكن، بل المقصود من نسبة الصفات إلى الله فهم هذه الحقيقة بأنَّه تعالى منزَّه عن الاتصاف بضدِّ هذه الصفات[١].

وقد جرت طريقة علماء الكلام على تقسيم صفات الله على مجموعتين:

١- الصفات الثبوتيَّة.

٢- الصفات السلبيَّة.

وذكروا أنَّ الصفات الثبوتيَّة تنحصر في ثماني صفات؛ هي: القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، والكراهية، والإدراك، والأزليَّة، والأبديَّة، والتكلّم، والصدق. (باعتبار أنَّ الإرادة والكراهيَّة صفة واحدة، وكذا الأزليَّة والأبديّة).

كما ذكروا أنَّ الصفات السلبيَّة سبع صفات؛ هي: ليس بمركَّب، وليس بجسم ولا جواهر ولا عرض، وليس محلًّا للحوادث، ولا يُرى، ولا شريك له، ولا تعرضه المعاني والأحوال، وليس محتاجا[٢].

والمقصود من الصفات الثبوتية وهي ذاتها تسمَّى الصفات الجماليَّة: الصفات التي تدلُّ على كمال الله في وجوده، أمَّا الصفات السلبية فتسمَّى الصفات الجلاليَّة: وهي الصفات التي يجلُّ الله تعالى عن وصفه بها؛ لأنَّ هذه الصفات تدل على نقص الموصوف بها وعجزه، والله تعالى غنيٌّ غنى مطلقًا، ومنزَّه عن كلِّ نقص وعيب[٣].

الصفات إذن أصناف منها «صفات سلبيّة عن الله تعالى؛ وهي ما لا يليق بكماله، أو هي المنفيّة عن الذات؛ إذ تؤخذ الصفة بقيد نفيها عن الذات؛ مبدأ اتصال

---

(١) ينظر: التوحيد: ٦٩.

(٢) ينظر: شرح أصول الكافي: ٣/ ٣١٣.

(٣) ينظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ٦٦.

الذات مثل صفة الجسميَّة التي يُشتق منها مفيد بالسلب وصف صمد، وصفة النقص أو العيب أو الفناء التي ينتزع منها مع قيد النفي وصف سلام، ومن الصفات السلبيَّة أيضًا الأوَّل والآخر، فالله تعالى هو الأوَّل؛ ومعنى أوَّليَّته أنَّه تعالى الأوَّل لوجوده، وأنَّ وجوده غير مسبوق بعدمٍ، وأنَّه هو الآخر، وأنَّه باقٍ إلى ما لا نهاية؛ فهو تعالى أبديٌّ لا يسبقه عدم، ولا يلحقه فناء، وذلك لأنَّه واجب الوجود بذاته»[١].

تقسم صفاته سبحانه على نوعين؛ صفات الذات وصفات الفعل، فالصفات التي يكفي في توصيفه سبحانه بها فرض ذاته؛ فهي صفات الذات كالقدرة والحياة والعلم، وأمَّا الصفات التي يتوقَّف توصيفه سبحانه بها على صدور فعل منه وفرض شيء غير الذات؛ فهي صفات الفعل المنتزعة من فعله تعالى[٢].

فالعلم هو قسم من أقسام الصفات الذاتيَّة الكماليَّة، وهذا ما أجمع عليه العلماء ولم يختلف فيه اثنان، وقد عُرِّف العلم بأنَّه الصورة الحاصلة من الشيء على صفحة الذهن، وقد اعتُبِر هذا التعريف ناقصًا لعدم شموله لبعض أقسام العلم، فالعلم ينقسم على حصولي وحضوري، والتعريف المذكور يناسب الأوَّل دون الثاني[٣].

كما اتَّفق الإلهيُّون على أنَّ من صفاته تعالى الكماليَّة هي القدرة، ولأجل ذلك عُدَّ القادر من أسمائه سبحانه[٤].

كما عُدَّت الحياة من صفاته تعالى، وأنَّ الحيَّ من أسمائه سبحانه، ولكنَّ

---

(١) علم الكلام وتطوره عند العرب رؤية في المعرفة والمنهج والدور: ٩٧.
(٢) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: ١/ ٨٧.
(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص١٠٧.
(٤) ينظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة اهل البيت: ٦٧.

إجراء هذا الاسم عليه سبحانه يتوقَّفُ على فهم معنى الحياة بحسب الإمكان، وكيفيَّة إجرائها على واجب الوجود[١]، فقد وصف الله تعالى نفسه في الذكر الحكيم بالحياة التي لا موت فيها؛ إذ يقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾[٢]، كما ذكر الإمام الباقر(عليه السلام): «إنَّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره، نورًا لا ظلام فيه، وصادقًا لا كذب فيه، وعالمًا لا جهل فيه، وحيًّا لا موت فيه، وكذلك هو اليوم وكذلك لا يزال أبدًا»[٣]، وهناك أيضًا صفات ثبوتيَّة أخرى لله تعالى كالسمع والبصر والإدراك والإرادة والأزلية والأبدية.

أمَّا الصِّفات الفعليَّة لله تعالى فهي التكلُّم، فقد أجمع المسلمون تبعًا للكتاب والسُّنَّة على كونه سبحانه وتعالى متكلِّمًا، وقد شغل الكلامُ الإلهيُّ حيِّزًا كبيرًا في علم الكلام، وطُرحت نقاشات كثيرة، وحصل جدلٌ واسعٌ في مسألةِ كلامهِ تعالى هل هو حادث أم قديم؟ فكان على إثرها صداماتٌ دامية بين الفِرق الإسلاميَّة والتي سُجِّلت في التاريخ وعُرِفت بـ(محنة خلق القرآن)[٤].

وقد سجل التاريخ موقفًا في هذه المحنة لأهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) فقد منعوا أصحابهم من الخوض في تلك المسألة، فقد سأل «الريَّان بن الصلت الإمام الرضا(عليه السلام) وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال(عليه السلام): كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غيره، فتضلُّوا» [٥].

و«حدَّث سليمان بن جعفر الجعفريّ قال: قلت لأبي الحسن موسى بن

---

(١) ينظر: الإلهيات:١/ ١٥٣.
(٢) سورة الفرقان: ٥٨.
(٣) التوحيد: ١٤١.
(٤) ينظر: الإلهيات: ١/ ١٨٩.
(٥) التوحيد: ٢٢٣.

جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله، ما تقول في القرآن فقد اختُلِف فيه من قبلنا؟، فقال قوم: إنَّه مخلوق، وقال قوم: إنَّه غير مخلوق؟، فقال عليه السلام: أمَّا إنِّي لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكنِّي أقول: إنَّه كلام الله» (١).

كمَّا عُدَّ الصدق من الصفات الفعليَّة، فقد اتَّفق المسلمون على أنَّ الصادق من أسمائه، وإن اختلفوا في طريق البرهنة عليه، والمراد من صدقه كون كلامه منزَّها عن ثوب الكذب وقد استُدِلَّ على صدقه بأنَّ الكذب قبيحٌ عقلًا، وسبحانه منزَّه عمَّا يعدُّه العقل من القبائح(٢).

والحكمة أيضًا من صفاته تعالى، كما أنَّ الحكيم من أسمائه، وقد تواترت النصوص القرآنيَّة بذلك، فقال سبحانه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٣)، فقد عُرف بأنَّ الحكيم يُطلق على الفاعل الذي يعمل بإتقان، ويقدِّر ويدبِّر باتِّزان، والله سبحانه وتعالى حكيم بهذا المعنى(٤).

أمَّا الصفات السلبيَّة فقد عرفنا مسبقًا أنَّ الإلهيِّين عمدوا إلى تقسيم صفات الله تعالى الذاتيَّة على قسمين؛ ثبوتيَّة، وسلبيَّة، وإنْ شئت قلت: صفات الجمال والإكرام، وصفات الجلال والتنزيه، وتهدف الأولى منها إلى توصيفه تعالى بما يُعدُّ كمالًا للموصوف وجمالًا له؛ نحو العلم والقدرة والحياة والاختيار، وتهدف الثانية إلى تنزيهه سبحانه من النقص والعيب(٥).

ومن«الصفات السلبية يحتل التوحيد بمراتبه المختلفة المكانة العليا في

(١) التوحيد: ٢٢٤.
(٢) ينظر: الإلهيات:٢٢١.
(٣) سورة النساء: ٢٦.
(٤) ينظر: الإلهيات: ٢٢٨.
(٥) ينظر: المصدر نفسه:٢/ ٧.

الشرائع السماويَّة»[١]، فقد جاء وصف الله سبحانه بهذه الصفات، وهذا لا يعني في واقعها أن تسلب كمالًا عن الله تعالى، بل تريد أن تسلب عنه نقصًا، وسلب النقص مرجعه إلى إثبات الكمال[٢].

ومن صفات واجب الوجود البساطة وعدم التركيب من أجزاء؛ ذلك أنَّ كلَّ مركَّب محتاج إلى أجزائه، وواجب الوجود منزَّه عن كلِّ احتياج، فلا يكون مركَّبًا من أجزاء، وإذا استحال أن يكون الله تعالى جسمًا فمستحيلٌ أن يكون قابلًا للرؤية بالعين، أو قابلًا للإدراك بالحواس الأُخرى؛ وذلك لأنَّ المحسوسيَّة من خواصِّ الأجسام والجسمانيَّات، وبذلك يثبت أنَّه لا يمكن أن نتصوَّر الله تعالى في مكان أو زمان، وكما يثبت أنَّ كلَّ موجود مكاني أو زماني ليس بواجب الوجود[٣]، فلا تجوز على الباري الرؤية بالبصر بخلاف ما جاء به مذهب الأشاعرة الذين جوَّزوا الرؤية، بل وقوعها في الآخرة، وهذا مخالف لمذهب الشيعة والمعتزلة الذين قالوا باستحالتها عليه تعالى[٤].

المطلب الثاني: الصفات الإلهيَّة بين الشيعة الإمامية وأهل السُّنَّة من الأشاعرة والمعتزلة

يقول الشهرستاني: «اعلم أنَّ جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزليّة؛ من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وكانوا يثبتون صفات خبريَّة مثل اليدين والوجه، ولا يؤولون ذلك، ثم يشير إلى أنَّ السلف

(١) ينظر: الإلهيات: ٢/ ٩.
(٢) ينظر: التوحيد: ٢/ ١١٦.
(٣) ينظر: دروس في العقيدة الإسلامية: ٣٣.
(٤) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ٧٤.

كانوا يثبتون الصفات، فسُمُّوا صفاتيَّة في مقابل المعتزلة الذين كانوا ينفونها»[١]، وقالت المعتزلة بتوحيد الله سبحانه وتعالى ونفي الصفات عنه[٢].

لقد تشكَّلَ من الصفاتيَّة مذهبٌ كلاميٌّ مناهض للمعتزلة وسلف للأشاعرة، وقد أراد الأشاعرة بعد أن اعترفوا بفضلهم وصحبتهم أن يجعلوا منهم؛ أي: من الصفاتيَّة حلقة وسطى بين أئمَّة الفقه ومذهبهم، وأنَّهم المدافعون عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة[٣].

يستندُ مذهب الأشاعرة في إثبات الصفات الإلهيَّة من العلم والقدرة والحياة، وهو بذلك لم يفارق المعتزلة، كذلك ذهب الأشعري إلى أنَّ الله ليس بجسم؛ لأنَّ الجسم هو الطويل العريض العميق، والإرادة عنده صفة ذات لله تعالى؛ إذ يستحيل أن يكون الباري موصوفًا بضدِّ الإرادة من عجز أو جهل أو سهو، وإذا بطل وصف الله تعالى بضدِّ الإرادة وثبت أنَّه يريد، فإنَّه عزَّ وجلَّ لم يزل مريدًا، كذلك لا بدَّ أن يكون مريدًا لكلِّ شيء يجوز أن يراد؛ لأنَّه إذا كانت الإرادة من صفات الذات، فقد وجب أن تكون عامّة في كلِّ ما يُراد على الحقيقة[٤].

فصفات الله عزَّ وجلَّ عند الأشاعرة من القِدم، فالله تعالى قديم لنفسه لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئًا، وأنه واحد؛ وذلك لأنَّ الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام، وهو عالم لأنَّ الأفعال المحكمة لا تتَّسق في الحكمة إلَّا من عالم، وهو بذلك قادر، فلا يجوز أن تحدث الصنائع إلَّا من قادر حي؛ لأنَّه لو جاز حدوثها ممَّن ليس

---

(١) الملل والنحل: ١/ ١٤٥.

(٢) رسائل العدل والتوحيد: ٨٤.

(٣) ينظر: في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين: ٢/ ٣١.

(٤) ينظر: رسائل العدل والتوحيد: ٦١-٦٢.

بقادر ولا حيّ لم ندر لعلَّ سائر ما يظهر من الناس يظهر منهم [١].

وأثبتت المعتزلةُ ثلاثَ صفات أزليَّة لله تعالى، ومنعوا سائر الصفات التي تُوهِم التشبيه، أمَّا الأشاعرة فقد أثبتوا سبعَ صفاتٍ أزليَّة، هي: عالم، قادر، حيٌّ، مريد، سميع، بصير، متكلِّم؛ لأنَّه يستحيل أن يتَّصف الله عزَّ وجلَّ بأضداد هذه الصفات[٢].

وقد أجمعت المعتزلة على أنَّ الله تعالى واحد ليس كمثله شيء، فهو ليس بجسم ولا صورة ولا جوهر ولا عرض ولا تدركه الأبصار، وأنَّه القديم وحده ولا قديم غيره، ولا يلحقه العجز والنقص، وقد شاركهم في هذه الصفات جملة من الخوارج وطوائف من الشيعة، وهذا مختصر قولهم في التوحيد[٣].

بعد أن ثبت أن لله تعالى صفات ذاتية وقع النزاع بين الأشاعرة والمحدِّثين من جهة، وبين الإمامية وجماعة من المعتزلة من جهة ثانية؛ في أنَّ تلك الصفات التي تجري عليه سبحانه، هل هي صفات واقعيَّة مغايرة لذاته تعالى أو إنَّها عين ذاته؟ فالأشاعرة يدَّعون أن صفاته قديمة وزائدة عن ذاته، واستدلوا على ذلك بأمور؛ أهمها: أن هذه الصفات لو كانت عين ذاته ومتَّحدة معها مفهومًا لم يكن لحملها على الذات فائدة، ولزم من حملها عليها حمل الشيء على نفسه[٤].

واستدل الإمامية ومن وافقهم من المعتزلة بأنَّ الصفات لو كانت غير الذات لا تخلو من أن تكون قديمة أو حادثة، فلو كانت قديمة لزم تعدُّد القديم، وهو أسوء

---

(١) ينظر: مذاهب الإسلاميين: ١/ ٥٣.

(٢) ينظر: في علم الكلام: ٦٢.

(٣) ينظر: مذاهب الإسلاميين: ١/ ٥٣٧-٥٤٠.

(٤) ينظر: الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: ١٦٥.

من قول النصارى الذين أثبتوا ثلاثة قدماء: الأب والابن وروح القدس، وقد ورد حديث للإمام الرّضا عليه السلام يؤكد ذلك، ففي رواية الحسين بن خالد، قال سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لم يزل الله سبحانه عليمًا قادرًا حيًّا قديمًا سميعًا بصيرًا، قلت: يا ابن رسول الله، إن قومًا يقولون: إنّه عالم بعلم، وقادر بقدرة، وحيٌّ بحياة، وقديم بقدم، وسميع بسمع، فقال عليه السلام: من قال بذلك ودانَ به فقد اتَّخذ مع الله آلهة أخرى، وليس من ولايتنا على شيء، ثم قال: لم يزل الله سبحانه عليمًا قادرًا حيًّا سميعًا بصيرًا لذاته، تعالى عمَّا يقول المشركون والمشبِّهون علوًّا كبيرًا»[1].

المطلب الثالث: نماذج من تفاسير أمير المؤمنين عليه السلام في الصفات الإلهيَّة

أعطى الإمام عليٌّ عليه السلام في طروحاته مساحة للعقل، وألزمه بالنصِّ في آن واحد، وهذا من وجوه الإعجاز البلاغي في طرحه، فعندما يتحدَّث الإمام عليه السلام عن استحالة رؤية الله عقلًا يقول: «وامتنع على عين البصير، ثمَّ يقول ولا تحيط به الأبصار... ولا تراه النواظر»[2].

وكلامه هذا يطابق العقل كما يطابق النص الواضح من قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[3]، وقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[4]، وكلُّ ما خلق الله تعالى للإنسان من أدوات إنَّما تؤكد الاستحالة العقليَّة، فإنَّ هذه الأدوات الماديَّة؛ وهي الحواس لا تدرك إلَّا المادة من جنسها، والإمام عليه السلام بقوله هذا قد أرسى قاعدة عدم الرؤية إلَّا أنَّ هذا لا يعني إطلاقًا عدم وجوده سبحانه، فهو المعروف من غير رؤية وأحق وأبين ممَّا ترى العيون، ويؤكد الإمام عليه السلام وحدانية الله وتفرُّده سبحانه، في

(١) ينظر: التوحيد: ٣٠.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣١١.
(٣) سورة الأنعام: ١٠٣.
(٤) سورة الأعراف: ١٤٣.

وصيَّته للإمام الحسن عليه السلام بقوله: «واعلم يا بني، أنَّه لو كان لربِّك شريك لأتتك رُسُله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنَّه إله واحد كما وصف نفسه لا يُضادُّه في ملكه أحد، ولا يزول أبدًا ولم يزل»[١].

إنَّ الإمام عليه السلام يؤكِّدُ الصفات الثبوتيَّة لله سبحانه وتعالى مثل الإرادة والبصر، ويؤكِّد تباينه تعالى عن الأشياء وعدم تشبيهه بالمخلوقات، وصفة الإرادة والبصر من الصفات الذاتية لله تعالى التي هي عين ذاته، ولا يجوز فصلها عنه سبحانه؛ فهي أساس كمال الذات، ونفيها يعني نقص الذات، أمَّا اللطف والصنع والرحمة فهي من صفات الأفعال الحادثة على ذاته مثل الرزق، ولا يجوز القول بأنَّها عين الذات؛ لأنَّ ذلك يستلزم حدوث الذات[٢].

وقد ركَّز أمير المؤمنين عليه السلام في مسألة الصفات الإلهيَّة والبحث فيها عن عجز الإنسان إدراك ما يشاهد، فقال عليه السلام في حديث له في نهج البلاغة: «الذي ليس لصفته حدٌّ محدود ولا نعت موجود، فجعل عليه السلام هذه النقطة ركيزة في تعليم الناس طريقة التعامل مع الله تعالى؛ وذلك لأنَّ الجهل بحقيقة الله عزَّ وجلَّ وصفاته هي ركيزة في عدم الإلمام والإحاطة به تعالى» [٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: لما سُئل عن تفسير المحكم والمتشابه من كتاب الله عزَّ وجلَّ قال: «أمَّا المحكم الذي لم ينسخه شيء من القرآن؛ فهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[٤]، وإنما هلك الناس في المتشابه؛ لأنهَّم لم يقفوا على معناه، ولم يعرفوا

(١) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣١٢.
(٢) علي بن أبي طالب عليه السلام حاكماً وفقيها: ١٧٧.
(٣) ينظر: العقائد من نهج البلاغة: ١٠٠.
(٤) سورة آل عمران:٧

حقيقته، فوضعوا له تأويلات من عند أنفسهم بآرائهم، واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء»[١].

ومن ذلكَ ما ذُكر في تفسيرهِ عليه السلام عن معنى (الرحمن الرحيم) في سورة الفاتحة، فقال: «إنَّ الرحم التي اشتقها الله من رحمته بقوله: أنا الرحمن هي رحم محمَّد صلى الله عليه وآله، وأنَّ من إعظام الله إعظام محمَّد صلى الله عليه وآله، وأنَّ من إعظام محمَّد صلى الله عليه وآله إعظام رحم محمَّد صلى الله عليه وآله، فالويل لمن استخفَّ بشيءٍ من حرمة محمَّد صلى الله عليه وآله»[٢].

وفي تفسير (الرحيم) قال: «رحيم بمعنى الرقَّة، وقال: الإمام العسكريّ عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: رحيم بعباده المؤمنين، ومن رحمته أنَّه خلق مائة رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[٤]، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كلُّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه، وضالٌّ عن سبيل الله، وقال الرضا عليه السلام كذلك فقال: ومَن تجاوز بأمير المؤمنين عليه السلام العبوديَّة فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين»[٥]، وفي هذه الآية إثبات صفة الغضب لله تعالى كما يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تشبيه[٦].

وفي تفسيره لسورة الإخلاص خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها: «الحمد

---

(١) تفسير أمير المؤمنين للقران الكريم: ٨١.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٥.
(٣) نهج البلاغة: خطبة ٤/ ١٧٤.
(٤) سورة الفاتحة: ٧.
(٥) تفسير أمير المؤمنين للقران الكريم: ١٣٤.
(٦) ينظر: آيات الصفات في كتاب الله تعالى، محمد الحمود الجندي، إسلام أون لاين، islamonline.net

لله الذي لم يولد فيكون في العزِّ مشاركًا، ولم يلد فيكون موروثا هالكًا»[١]، وهذه الآية أيضًا بها وصف لله سبحانه بأنَّه أحد صمد، فهذان الوصفان يدلَّان على اتِّصاف الله بغاية الكمال المطلق، وبتنزيهه عن العيوب والنقائص، وهو واجب لذاته كما دلَّت عليها سورة الإخلاص من البدء إلى النهاية، وعن أبي إسحاق الثعلبي قال: «قال عبد خير: سأل رجل عليَّ بن أبي طالب عليه السلام عن تفسير سورة الإخلاص قال: قل هو الله أحد بلا تأويل عدد، الله الصمد لا يتبعَّض بددًا، لم يلد فيكون هالكًا، ولم يولد فيكون إلهًا مشاركًا، ولم يكن له من خلقه كفوا أحد» [٢]، وقال عليه السلام أيضًا في حديث له ورد في تفسير سورة الإخلاص: «لم يلد فيكون مولودًا، ولم يولد فيصير محدودًا، جلَّ عن اتِّخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء»[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤] قال عليه السلام: «هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرّأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، وتولَّهت القلوب إليه لتجري في كيفيَّة صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته، ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلِّصة إليه سبحانه»[٥]، وعنه عليه السلام: «كلُّ قادر غيره يقدر ويعجز»[٦].

وأخيرًا فإنَّ الإلمام بكل ما ذُكر عن أمير المؤمنين عليه السلام في بحث الصفات

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠: ٨١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٤٨٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٠/ ١٨٦، وموسوعة العقائد الإسلامية: ٥/ ٢٦٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٠.

(٥) موسوعة العقائد الإسلامية: ٤٠٠.

(٦) ينظر: الإمام علي عليه السلام وتفسير القرآن(بحث): ١٥.

الإلهيَّة لا يمكن أن يختزل في هذه السطور، ففي حديث له عليه السلام قال: «لا تقع الأوهام له على صفة»[1] وهذا الحديث بين فيه أمير المؤمنين عليه السلام بأنَّه لا يعني عدم وصف الله تعالى أنَّه خالٍ من الصفات، فقد وصف نفسه جلَّ وعلا، ووصفه رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصفه أمير المؤمنين عليه السلام، وإنَّما المعني هنا استحالة الصفة بعنوان أنَّه شيء غير الذات المقدَّسة فليزم منه التركيب وهذا ما لا يصح.

(١) العقائد من نهج البلاغة: ١٠٧.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة الموسومة «الصفات الثبوتيَّة والسلبيَّة في تفسير الإمام علي عليه السلام» خرجنا بمجموعة من النتائج أبرزها الآتي ذكره:

١- يُعد أمير المؤمنين عليه السلام منظومة فكريَّة لا يمكن اختزال ما جاء به بهذه السطور، فجاء علمه عليه السلام منوَّعًا وكاشفًا لكثير من الأمور التي تُعد من أُمّهات المسائل الكلاميَّة.

٢- من مقولات أمير المؤمنين عليه السلام التفسيريَّة نجده قد تصدَّى في باب العقائد إلى توضيح العقائد السليمة، ومنها صفات الله عزَّ وجلَّ الثبوتية والسلبية، وذلك بتفسيره لكثير من السور والآيات التي تدلُّ على توحيد الله عزَّ وجلَّ.

٣- يُعدُّ الإمام عليٌّ عليه السلام أوَّل من خاض في المعارف الإلهية من أُمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، وأوَّل من أوضح معالمها.

٤- أعطى الإمام عليٌّ عليه السلام مساحة للعقل وألزمه بالنَّصِّ في آنٍ واحد، وهذا من وجوه الإعجاز البلاغي في طرحه، فعندما يتحدَّث الإمام عليه السلام عن استحالة رؤية الله تعالى عقلًا يقول: وامتنع على عين البصير، ثم يقول ولا تحيط به الأبصار... ولا تراه النواظر.

٥- كان لكلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة أثر واضح في تبيان كثير من المفاهيم التي تتعلَّق بالصفات الإلهيَّة عبر خطبه المتواترة والمشروحة منه.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الإرشاد، محمد بن محمد المفيد، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، ط١، ١٤١٣هـ.

٢. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: محمد جواد الفقيه، مكتبة الراشد، الرياض، ط١، د.ت.

٣. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٦٨م.

٤. الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، محاضرات جعفر سبحاني، بقلم حسن محمد مكي العاملي، دار هشام للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥. الإمام علي عليه السلام في آراء الخلفاء، مهدي فقيه إيماني، ترجمة الشيخ يحيى البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار العارف، بيروت، ط١، د.ت.

٧. البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ)، دار أبن كثير، بيروت، لبنان، ط١، د.ت.

٨. تجلي القرآن من نهج البلاغة، محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة ماجد الخاقاني، مكتبة العراف، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ.

٩. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحراني (القرن الرابع)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢.

١٠. تصحيح الاعتقادات بصواب الانتقاد أو شرح عقائد الصدوق، محمد بن

محمد بن النعمان الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تعليق: هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضى، قم، ط١، ١٣٦٣هـ.

١١. تفسير أمير المؤمنين للقرآن الكريم، علي عاشور، مركز الشرق الأوسط الثقافي، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٢. تفسير الصافي، المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني، مكتبة الصدر، إيران، ط١، د.ت.

١٣. التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (٣٨١هـ)، جماعة المدرسين، قم، ط١، د.ت.

١٤. التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته، تقرير لدروس كمال الحيدري، جواد علي كسار، دار فراقد، قم، ط٣، ١٤٢٤هـ.

١٥. دروس في العقيدة الإسلامية، معهد الإمام الخميني للدراسات الإسلامية، كربلاء المقدسة، العراق.

١٦. رسائل العدل والتوحيد، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٧. الروضة في المعجزات والفضائل، بسام السيد بسام، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ط١، د.ت.

١٨. شرح نهج البلاغة، عز الدين بن هبة الله ابن أبي الحديد بن محمد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

١٩. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، هاشم معروف الحسني، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٨م.

٢٠. العقائد من نهج البلاغة، محسن علي المعلم، مؤسسة علوم البلاغة، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢٠م.

٢١. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، جعفر سبحاني، ترجمة: جعفر هادي، دار التعارف للمطبوعات، سوريا، ط١، د.ت.

٢٢. عقيدة الشيعة الإمامية عرض ودراسة، هاشم معروف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م.

٢٣. علم الكلام وتطوره عند العرب رؤية في المعرفة والمنهج والدور، شبر الفقيه، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢٤. علي بن أبي طالب عليه السلام حاكماً وفقيها، حامد جامع، القاهرة، دار المعارف، ط١، ٢٠٠٣ م.

٢٥. في رحاب القرآن الكريم، محمد سالم محيسن، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٦. في ضلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٢٧. في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين/ الأشاعرة، أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: فضل الله الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، ط١، د.ت.

٢٩. مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، المعتزلة والأشاعرة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، د.ت.

٣٠. مفاهيم القرآن، جعفر سبحاني، دار العارف، بيروت، ط٢، د.ت.

٣١. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ)، دار

المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٣٢. موسوعة العقائد الإسلامية، محمد معرفة الله الريشهري، تعريب: علي الأسدي، مركز بحوث دار الحديث، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ.

البحوث والمجلات:

٣٣. الإمام علي عليه السلام وتفسير القرآن، كاظم العبادي، مجلة المصباح، مجلة علمية فصلية محكمة.

٣٤. الإمام علي عليه السلام وتفسير القرآن، نجم الفحام، مجلة المصباح، مجلة علمية فصلية محكمة، العدد ١٧، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤.

٣٥. علم الكلام الإسلامي عند أمير المؤمنين عليه السلام، حسين حمزة شهيد، مجلة العقيدة، العدد ١٨، ٢٠١٩م.

شبكة الانترنيت والمعلوماتية:

٣٦. آيات الصفات في كتاب الله تعالى، محمد الحمود الجندي، إسلام أون لاين، islamonline.net.

٣٧. إطلالة على أهم الكتب في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، حسن بدران، baqiatollah.netK، السنة الثانية عشر، العدد ١٣٤، ٢٠٢٣م.

٣٨. مقالة شبكة النبأ للمعلوماتية، <https: //annabaa.org/>.

٣٩. منتدى الكفيل: دور أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، عمار الطائي، forums.alkafeel.net.